نساء في الإسلام

* * *

أُمُّ هَانئ

رَضِيَ اللّهُ عَنها

نجلاء شوقي حسن

أُمُّ هانِــئ

رضِيَ اللّهُ عنها

دخـلَ معلّـمُ التّربيــةِ الدّينيّــةِ الفَصــل ، فوَجـد التّلميذاتِ فى هَرَجٍ وَمَرَجٍ ، فسأَلُهُنَّ عن السّبب ، فقُلنَ له :

إنَّ بيننا فَريقَينِ يَختلِفان فيما حدثَ ليلةَ الإسراءِ والمِعراج ، فسأَلُهُنّ :

ـ وفيمَ كان اختِلافُهما ؟

قالتْ إحدَى التّلميذات :

ـ يقولُ فريقٌ منهما إنَّ رسولَ اللّه ـ صلّـى اللّـهُ عليه وسلّم ـ خرجَ إلى رحلةِ الإسراءِ والمِعراجِ مـن بَيتِـه ، بينمـا يُعارضُـه الفَريـقُ الآخر ، ويقـولُ إنّـه

خرج إليها من بَيتِ صَحابيَّةٍ جَليلة ، لا يتذكَّر اسْمَها .

قال معلّمُ التّربيةِ الدّينيّة ، وهو يُشير إليهِنَّ بالهُدوء :

ـ كلَّ عامٍ وأنتُنَّ بخَير ، فبالأمسِ كنّا نَحتفِلُ بلَيلَةِ الإسْراءِ والمِعراج ، واليَومَ سنَجعلُ حِصَّتنا عن تلكَ اللّيلةِ الكَريمةِ العَظيمة ، وسوف أُجيبُ عن كلِّ سؤالٍ تَسألْنَه بإذنِ اللّه .

وبعدَ أن روَى مُعلّمُ التّربيَةِ الدّينيّةِ للتّلميذات ، ما حدثَ في ليلةِ الإسْراءِ والمِعراج ، فتحَ باب المُناقشة ، وأجابَ عن أسئلَتِهنّ . وكانَ السُّؤالُ الّذى أجّلَ الإجابةَ عنه إلى الحِصَّةِ القادِمة ، سؤالَ التّلميذةِ حَنان ، حينَ سألته عن أُمِّ هانئ ، وطلبتْ

منه أن يَحكىَ لهنَّ حِكايتها .

فقالَ لها المُعلّم ، وهو ينظرُ فى ساعتِه :

ـ إنَّ أُمَّ هانئ صَحابِيَّةٌ جَليلة ، وتحتاجُ حكايَتُها إلى حِصَّةٍ بأكمَلِها . وقد حانَ الوقتُ الآنَ لأنْ أترِكَ فيهِ الفصلَ لمُعلّمٍ غيرى ، فأترُككم الآنَ على أن أحكىَ لكم حِكايتَها فى الحِصَّةِ القادِمة .

وعندَما عادتْ حنانُ إلى البَيت ، سألتْ والدَها عن الصَّحابيَّةِ الجَليلة أمِّ هانئ .

فقالَ والدُها : ماذا تُريدينَ أن تَعرِفى عنها ؟

قالتْ حنان :

ـ أريدُ يا والِدى أن أعرِفَ كلَّ شَيءٍ عنها .

قالَ والِدُها :

ـ أمُّ هانئ هى فاخِتَةُ بنتُ أبى طالب ، عمِّ

رسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ وقد عاشَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّـهُ عليـهِ وسلّم ـ فى بيتِ عمّهِ أبى طالب ، بعدَ وفاةِ أُمّه آمنـةَ بنتِ وَهب ، وجدّهِ عبدِ المُطّلب . فكان عمُّه أبو طالب يحبُّه كثيرا ، ويُحيطُه برِعايَتِه وعِنايَتِه ، وزادتْ رِعايتهُ لمحمَّد ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ بعدَ رِحلتِهِ معه إلى الشّام ، والتِقائِهِ بالرّاهب بَحيرا ، الّذى أوصاهُ خيرًا بمحمَّد ، وقال له :

ـ سيكونُ لابنِ أخيكَ هـذا شأنٌ ، فاحتَفِظْ به وحافِظ عليه .

وكانتْ فاختَةُ ابنةُ عمّه طفلةً صَغيرة ، تلعبُ وتلهو فى البَيْت ، يراها مُحمَّد ـ صلّى اللّـهُ عليهِ وسلّم ـ فيُعجبُ بها وتَقع فى عَينِه موقِعًا حَسنا .

فلمّا كبِرت فاختِة ، أرادَ النّبىّ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ أن يَخطُبها لنَفسِه من عمّه أبى طالِب ، ولكنْ سبَقه إليها هُبَيرةُ بن وهب ، من أشرافِ بنى مَخزوم ، فطلَبها من أبيها فزوّجها إيّاه .

ولقِيت فاختِةُ من زَوجِها كلَّ تَقديرٍ واحْترام ، وعاشت معه حياةً سَعيدةً رَغيدة ، بين أهلِه وقومِه .

كما تزوَّجَ رَسولُ الله ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ بعد ذلك ، السَّيدةَ خَديجةَ بنتَ خُويلِد ـ رضِىَ اللّهُ عنها ـ ومرَّتِ الأيّامُ والأَعوام ، حتّى بُلّغَ محمَّد ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ وحُمّل الرّسالة ، فدعا أهلَه وعَشيرتَه إلى الإسْلام ، فآمنتْ به طائفَة ، وكفرتْ به طائفَة .

وكان هُبيرَةُ زوجُ فاختَة ، من الّذين كفروا ولم

يُؤمنوا بمحمَّد ، وكانَ من الضّالينَ الّذينَ حاربوا دَعوةَ محمّد ، ولكنّه في نفسِ الوَقتِ كان يُراعى صِلةَ الرَّحِمِ ، الّتى تربِطُه إلى رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ فكان لا يُؤذيهِ في شخصِه .

وعلى الرُّغمِ من أنَّ فاختِةَ لم تُسلم في أوّل الأمر ، وتابعتْ زوجَها هُبيرَةَ فى عدمِ الإسْلامِ مُراعاةً له ، إلاّ أنّها كانت تُحبُّ وتَحترِمُ وتُقدِّرُ مُحمَّدًا ابنَ عمِّها ، فلم تُناصِبْهُ العَداء ، وحافظتْ على صِلةِ الرَّحمِ والقَرابة ، وكانتْ تَفتحُ له بيتَها وتَستَضيفُه .

وذاتَ لَيلةٍ استْضافَت فاختِةَ ـ أمُّ هانئ ـ ابنَ عمِّها محمَّد ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ عِندها ، وكانت فى غايةِ السَّعادةِ والسُّرور ، وهى تقومُ

على خِدمَتِه .

وكانتْ هـذه اللّيلـةُ يـا ابْنتـى ، هـى لَيلـةٌ كَريمـةٌ مُبارَكة ، وقالت أمُّ هانئٍ عن تلك اللّيلَة :

ـ ما أُسرِىَ برسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ إلاّ وهو فى بَيتى . نامَ عِندى تلك الليلة ، فصلّى العِشاءَ ثم نامَ ونِمنـا . وفـى الفَجـرِ أيقَظنـا رسـولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ وقال :

ـ يا أمَّ هانئ : لقد صلّيتُ معكم العِشاءَ الآخِـرةَ كما رأيت ، بهذا الوادى ، ثمَّ جئتُ بيتَ المقـدِسِ فصلّيتُ فيه ، ثمَّ قـد صلّيـتُ صـلاةَ الغَـداةِ معكـم الآنَ كما تَرَيْن .

فقالتْ له وهو يهمُّ بالخُروج :

ـ يا نَبىَّ اللّـهِ لا تُحـدّث النّـاس بهـذَا فيُكذّبـوك

ويُؤْذوك .

فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام :

ـ واللّهِ لأُحدِّثَنَّهم .

فقالتْ أمُّ هانئٍ لجارِيَتِها في خَوفٍ عَليه ، وبلَهفة :

ـ ويْحكِ يا جارِيَة ، اتْبَعي نبيَّ اللّهِ حتّى تَسمعي ما يقولُ للنّاسِ وما يَقولونَ له .

فلمّا خرجَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ إلى النّاس أخبرَهم برِحلتِه ، فتعجَّبوا وقالوا :

ـ لم نَسمعْ بشَيءٍ من هذا من قبل ، فأعطِنا علامةً نُصدِّقك .

فقالَ عليه الصَّلاةُ والسَّلام :

ـ إنّني مرَرتُ بِعيرِ بني فُلان ، بوادي كذا

وكذا ، وقد فرَّ ونأى منهم بَعير ، ثـمَّ مـرَرتُ بعيرِ بنى فلانٍ بناحيةٍ كذا وكذا ، وكانَ القومُ نِياما .

ووصفَ لهم حُمولَتَهم ، ووَضعَهم على ما رآه .

ثم أخبرَهم أنَّ قافِلةَ بنى فُلانٍ قادمةٌ من اتّجاه كذا ، يتقَدَّمُها جملٌ لونه يَميلُ إلى السَّواد ، ويحمِلُ كذا وكذا ، وعدَدُ أفرادِها كذا .

فقالتْ أمُّ هانئ :

ـ فأسرعَ النّاسُ بالذّهابِ نحوَ القافِلَةِ القادِمة ، من الاتّجاهِ الّذى وصفَه لهم رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ ليَتأكّدوا من صِدقِ قَولِه .

وكمْ كانت دَهشَتُهم ، فكلُّ ما قالَ لهم صَحيح .

وليتأكّدوا أكثر ، انتَظروا قُدومَ القوافِلِ الأُخرَى

الّتى حدَّثهم عنها ، وسألوهُم عمّا حدثَ لهم ، فعَرفوا أنّ كلَّ ما قالَه لهم نَبىُّ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ صَحيح .

هذا يا ابنَتى ما حدَّثتْ به أمُّ هانئ ـ رَضِىَ اللّه عَنها ـ عن تلكَ اللّيلةِ الشّريفَةِ المُبارَكة ، ولتَعلمى أنّ رحلةَ رسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ قد بدأتْ من بيتِ أُمّ هانئ .

قالَت حنانُ فى دَهشة :

ـ أهذه هى كلُّ حكايَتِها ؟ ألمْ تدخُلْ فى دينِ الإسْلامِ يا أبى ؟

قال لها والِدُها :

ـ إنّما حاولتُ أن أُجيبَ على قدْرِ سُؤالِك .

قالت حنان :

ـ لقد شرحَ لنا المُعلّم رِحلَة الإسْراءِ والمِعراج ، وأخبرَنا أنَّ رسولَ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ بدأَ الرّحلةَ وهو فى بَيتِ أُمّ هانئ ، فأرَدتُ أن أعرِفَ قِصَّةَ أمّ هانئٍ ومن تكون . وقد خَبَّرتَنى الآن عنها حتّى تلكَ اللَّيلة ، لَيلةِ الإسْراءِ والمِعراج ، ولم تقلُ لى ما حدثَ بعدَ ذلك ، أأسلَمتْ أمُّ هانِئٍ أم لم تُسلِم ؟

ضحِكَ والِدُها وقال :

ـ نعم ، بالطّبعِ أسْلمتْ يا ابْنَتى ، وهى من أخلص النّساءِ المُؤمِنات . فعندَما هاجرَ المُسلمونَ إلى المَدينة ، بقِيتْ أمُّ هانئٍ فى مكّةَ مع زوجِها وأولادِها ، تسمعُ أخبارَ النّبىّ ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ وتُسَرُّ لانْتِصاراته ، وتَفرحُ عند سَماعِ

سيرتِهِ الزَّكيَّة ، وتُمنّى نفسَها بيومِ اللّقاء ، حتّى كانَ يومُ الفتحِ العَظيم ، يَومُ فَتحِ مكّة ، وارتفعَ صوتُ بلالٍ فى مكّةَ يُؤذّن : اللّهُ أكبَر ، اللّه أكبَر ، أشْهدُ أن لا إلَهَ إلاّ اللّه ، أشْهدُ أنّ مُحمّدًا رسولُ اللّه .

فهربَ الكفّار ومن بَينِهم هُبيرَة ، زوجُ أمِّ هانئ ، تاركينَ مكّة . وقد حدثَ أن كانَ الحارِثُ بنُ هِشام ، من الأشخاصِ الّذينَ أهدرَ رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ دمَهُم يومَ فتحِ مكّة ، وكانَ الحارثُ يعرِفُ مكانَةَ أمِّ هانئٍ عندَ رَسولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ ، فلَجأَ إلى بَيتِها مُحتَمِيًا ومُستَجيرا بها ، فلَحِق به علىٌّ بنُ أبى طالِب ـ كرّم اللّه وجهَه ـ ليَقتُلَه ، فأخبرَته أمُّ

هانِئٍ أنّها قد أجارَتِ الحارث .

فلم يَلتفتْ عَلىّ ـ رضىَ اللّه عنه ـ لقَولِها ، بل أشهرَ سيفَه يُريد قَتلَه ، فقبضتْ أمُّ هانئٍ على يَدَيه وقالَت :

ـ واللّه لا تَقتُله وقد أجَرتُه .

وبينَما هما كذلك ، إذ دخلَ عَليهِما رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ فقالت :

ـ يا رسولَ اللّهِ ألا تَرى أنّى قد أجرتُ الحارِثَ ابنَ هِشام ، فأرادَ علىٌّ أن يقتُلَه .

فقالَ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ـ : لقد أجَرْنا من أَجَرتِ وأمَّنا من أمَّنت .

وهكذا نجا الحارِثُ بعُمرِه .

وأسلمتْ أمُّ هانئ ، وفرّقَ الإسْلامُ بينَها وبينَ

زَوجِها المُشرِكِ باللَّه ، والهارب .

وانصرفتْ أمُّ هانئٍ بعد فِراقِها من زوجها ، إلى الاهْتِمامِ بأُمورِ أبنائِها ، وتَنشِئَتِهم تَنشِئَةً طَيِّبَةً صالِحة . فغرسَتْ فى نُفوسِهم الفَضائِلَ والقِيَمَ الإسْلامِيَّة . وعاشَت - رَضِىَ اللَّهُ عنها - حتَّى خِلافَة أَخيها علىّ بن أبى طالِب - رَضِىَ اللَّه عنه - وفى سنةِ أربعينَ منَ الهِجرة ، تَوفّاها اللَّه سُبحانَه وتَعالى . رَضِىَ اللَّهُ عَنها وأرْضاها .